

التمسّك بالقرآن الكريم



قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ يَارَكُ فِيْكُمُ الْثَّقَلَيْنِ، مَا إِنْ تَمْسَكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِ أَبْدَاهُ»؛ كتاب الله، وعترتي أهل بيتي». إنَّ الله سبحانه وتعالى أودع شريعته وحقائق دينه في كتابٍ أنزله للناس هادياً، وأمر نبيه والأنبياء من بعده أن يفسّروا آياته ويبشرّنّوا تعاليمه. فهو كتاب الله وهو كلماته التامة؛ وفيه أودع إرادته الكاملة للبشرية لكل عصرٍ ومكان، وهو المتصفون بالالتزام التام. ومن أراد الوصول إليه سلك سبيله؛ ومن اهتدى فإنَّما يهتدي به. فهذا الكتاب هو مظهر هداية الله التامة.. فإنَّ كل آية فيه تمثيل درجةٍ من درجات الجنَّة. وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه قال: «عدد درج الجنَّة عدد آيات القرآن، فإذا دخل صاحب القرآن الجنَّة قيل له اقرأ وارق، لكل آية درجة فلا تكون فوق حافظ القرآن درجة». فمن ضرورات شريعة الإسلام التمسك بالقرآن، لأنَّه مصدر التشريع، وحافظ العقيدة وملهم الأرواح. فمن تركه، فقد ترك دينه وأعرض عن الله. ولهذا، كان التمسك بالقرآن بباب الدخول إلى الدين، لأنَّه سند النبوة الخاتمة والمعجزة الإلهيَّة الخالدة، والحجَّة على العالمين.

إنَّ حقيقة القرآن التي يصل إليها الأولياء هي النور الخالص والغنى الذي لا فقر بعده أبداً، والكمال

الذي لا منتهى له. فعن رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) أذنه قال: «القرآن غنى لا غنى دونه، ولا فقر بعده». وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «واعلموا أذنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستفسروه من أدواتكم، واستعينوا به على لأوابئكم، فإن فيه شفاءً من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغيبة والضلالة. فاسألوه الله به وتوجهوا إليه بحده، ولا تسألوه به خلقه».

فهو الشافي للأمراض النفوسية والمزيل للأمراض القلوبية. وهو إكسير السعادة في الدارين. ومن أراد تطهير باطنها من الأمراض والرذائل الأخلاقية، فليتمسك به. وفيه الشفاء من أكبر الداء وهو الكفر. عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أذنه قال: «تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستفسروا بنوره فإنه شفاء المصدور». حتى عد قارئ القرآن عن حقه دراية ممن أدرجت النبوة بين جنبيه، كما في الحديث عن مولى الموحدين (عليه السلام): «من قرأ القرآن فكان زمانه أدرجه النبوة بين جنبيه إلا أذنه لا يوحى إليه».

وعليه، فإن القرآن المجيد كتاب الهدایة إلى الغنى الذي لا فقر فيه والكمال الذي لا نقص فيه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتِكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (يونس/ 57)، وهو كتاب السفر إلى الله تعالى وباب الوصول إليه، وكتاب تهذيب النفوس والمصادر وشفائها من الأمراض الخبيثة والمهلكة.. فهذا الكتاب الشريف الذي هو الكتاب الوحيد في السلوك إلى الله والكتاب الأحدي في تهذيب النفوس والآداب والسنن الإلهية، وأعظم وسيلة للربط بين الخالق والمخلوق والعروة الوثقى والحبيل المتيقن للتمسك به بعز الله ربّه وبه.